حركة النقد في الجزائر ، قراءة تأصيلية؛ البداية النقدية الفردية والمدرسية.

طلبة الدكتوراه تخصص : أدب جزائري /أدب حديث / الخطاب السردي

يتناول هذه المقياس مسيرة النقد في الجزائر منذ بداياته الأولى ؛ أي منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى غاية ظهور المناهج النقدية الحديثة (الانطباعي / التاريخي...) مبرزا أهم القضايا والإشكالات المطروحة ، وكيف تم التعامل معها من طرف النقاد الجزائريين الذين حاولوا إعطاء مبررات وحجج منطقية تنسجم وطبيعة الظاهرة المدروسة ، مما جعل مهمّة الناقد الجزائري في كثير من الأحيان تتعدى عملية النقد إلى الوقوف على الظروف المتحكمة في عملية الإنتاج الأدبي كالظروف التاريخية والبيئية والسياسية ، وهو ما أفرز جهودا نقدية فردية وأخرى مدرسية تلونت بلون الايدولوجيا السائدة التي غالبا ما كانت تحرّكها...

د. خالد وهاب

جوان 2021

أرضية الانطلاق :

ربط الطالب بمكتسباته القبلية من خلال :

- إعادة الحديث عن بدايات الحركة الأدبية النقدية في الجزائر.

- طرح جملة من التساؤلات التي من شأنها إقامة أرضية للانطلاق :

- متى ظهرت الحركة الأدبية في الجزائر ؟
- هل يمكن عدّ فترة الأمير عبد القادر الفترة الفاصلة بين الأدب الجزائري القديم والأدب الجزائري الحديث ؟
- هل اتفق النقاد الجزائريون على البداية الحقيقية لانطلاق مسيرة الأدب الجزائري الحديث ؟
- ما هي أهم المواقف والآراء التي تناولت قضية البدايات في الأدب الجزائري الحديث (أبو القاسم سعد الله ، الصالح خرفي عبد الله ركيبي ..)؟
- ما مدى تأثر الطليعة الأولى من الأدباء الجزائريين بالأدب المشرقي ؟
- ما عوامل النهضة الأدبية والنقدية في الجزائر ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات ،على الطالب العودة إلى أهم المراجع التي تناولت بالعرض والتحليل والتوصيف هذه القضايا ، ومن بين هذه المراجع نذكر : كتاب :

-أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث.

- كتاب الصالح خرفي : الأدب الجزائري الحديث.

- كتاب : عمار بن زيد : النقد الجزائري الحديث ...

حركة النقد في الجزائر

مر النقد في الجزائر بحركتين نقديتين كبيرتين شكلتا ملامحه وأسهمتا في إثرائه وتطوره ، وقد استطاع هذا النقد مواكبة الجهود النقدية التي عرفتها الساحة العربية والعالمية ، وإجمالا يمكن اختصار هذه المسيرة التي بدأت منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى يومنا في :

- **الحركة الأولى :**حركة النقد الجزائري الحديث، وينضوي تحت هذه الحركة النقدية مسارين :

أ / **مسار تأصيلي (النظرة التقليدية):**منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية.

ب/ مسار مدرسيتجديدي : بعد الحرب العالمية الثانية إلى غاية سبعينيات وثمانينيات القرن المنصرم.

- **الحركة الثانية :**حركة النقد المعاصر منذ ثمانينيات القرن المنصرم إلى غاية يومنا هذا.

ويمكن حصر مخرجاتهاأيضا ضمن مسارين :

أ/مسار ألسني بنيوي : يقوم باستخدام طروحات النقد الألسني الذي تنضوي تحته عديد المناهج النصانية كالمنهج البنيوي والسيميائي والأسلوبي والنقد السردي ...

ب/ مسار ما بعد بنيوي : يقوم بتوظيف طروحات ما بعد البنيوية ، وهي طروحات مقوّضة للمقولات الرئيسية التي بنيت عليها المناهج التي تنضوي تحت ما يسمى بالنقد الألسني ، ومن بين هذه المقاربات : التفكيك والنقد الثقافي والنسوي ....

الملف الأول :

حركة النقد الجزائري الحديث

(التأصيل التجديد والمواكبة)

الموضوعات

- أرضية الانطلاق
- حركة النقد الجزائري الحديث والمعاصر
- بدايات النقد الأدبي الجزائري الحديث
- اتجاهات النقد الأدبي الحديث – الاتجاه التقليدي
- اتجاهات النقد الأدبي الحديث – الاتجاه التأثيري
- النقد التاريخي في النقد الجزائري الحديث
- النقد الاجتماعي في النقد الجزائري الحديث
- النقد الانطباعي في النقد الجزائري الحديث
- النقد النفسي في النقد الجزائري الحديث
- النقد التكاملي في النقد الجزائري الحديث

حركة النقد الجزائري
(التأصيل التجديد والمواكبة).

يتناولهذه المقياس أهم الاتجاهات والحركات النقدية التي عرفتها مسيرة النقد في الجزائر بداية من الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى غاية ثمانينيات القرن المنصرم ، وقد تميّزت المحاولات النقدية الأولى بالفردية وبشيء من التحامل على النص الإبداعي كونها غالبا ما كانت تتعامل معه ضمن إطار تقليدي ولغوي صرف ، وتنظر إليه نظرة جزئية يحاول من خلالها الناقد تصيّد الأخطاء اللغوية والشكلية مصدرا أحكاما نقدية قد تكون أحيانا قاسية وتعسفية ، وذلك بسبب سيادة منهجية الاقتضاب ، والتعامل النقدي السريع مع النص ؛ وهي النظرة التي وسمها النقاد المؤرخون لهذه الفترة بالاتجاه التقليدي ، والتي تلوّن فيها النقد بطابع ايديولوجي عقدي ،فظهر خلال هذه الفترة أدباء يحملون رسالة الإصلاح الديني ممارسين إلى جانب هذه المهمّة مهمّة النقد وتوجيه دفّة الإبداع بما يخدم الوعي الإصلاحي المجتمعي ومن أمثال هؤلاء الأدباء النقاد نذكر : عبد الحميد ابن باديس ، البشير الإبراهيمي ، محمد الشوبكي ، أحمد سحنون ... وفي عقب هذا الاتجاه ظهر اتجاه آخر أطلق عليه الاتجاه التأثيري ، وهو اتجاه تجديدي غير تقليدي في تعامله مع النصوص الأدبية ، كان قد بدأه في المشرق العربي كبار الأدباء والنقاد أمثال طه حسين الذي طبقه أثناء قراءته للشعر الجاهلي . أما في الجزائر فقد مثّله عديد من الشعراء والكتّاب والنقاد نذكر من بينهم : رمضان حمود ، أحمد رضا حوحو ، حمزة بوكوشة ، أحمد بن ذياب ، أبو القاسم سعد الله ... وتتواصل مسيرة النقد في الجزائر بتمثّل اتجاهات ومناهج نقدية غربية كالاتجاه التاريخي الذي مثّله طائفة من النقاد الأكاديميين في دراسة الشعر والنثر الفني الجزائري أمثال : أبو القاسم سعد الله ، عبد الله الركيبي ، الصالح خرفي ، عبد المالك مرتاض ... كما كان للمنهج الاجتماعي رواده في مسيرة النقد الجزائري ، وهو المنهج الذي قام بعملية تفسير النص الإبداعي في ضوء البيئة الاجتماعية التي ولد فيها النص متبنيا فكرة نظرية الانعكاس التي ترى بأنّ النص الأدبي ليس سوى انعكاسا للبنية التحتية للمجتمع ، والأدب من هذا المنظور – على حدّ تعبير الناقد سعيد علواش- ليس سوى تجربة اجتماعية عبر واقع متخيل ، وخير من مثّل هذا الاتجاه في فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم : عبد الله ركيبي من خلال كتابه (الشّعر الجزائري الحديث) وواسيني الأعرج من خلال دراساته المتعدّدة ، ومن بين هذه الدراسات نذكر دراسته حول (تجربة الكتابة الواقعية لدى الطاهر وطار) كم أسهم الناقد محمد ساري في هذا النهج بدراسة عنونها بـ (البحث عن النقد الأدبي الجديد) والتي حاول فيها تطبيق بعض طروحات لوكاتشوغولدمان على نصوص روائية جزائرية للطاهر وطار ورشيد بوجذرة واسماعيل غموقات وبكير بوراس ومالك حداد ... وبالحديث عن النقد الانطباعي فقد عاد للظهور من جديد على أيدي نقاد أكاديمين جزائريين أمثال : أحمد منور في قراءته للقصّة الجزائرية

والطاهر يحياوي ومحمد توامي في كتابهما المشترك (شعراء وملامح) ، وعمر أزراج من خلال كتابه (الحضور) ، ومخلوف عامر في كتابه (تطلعات نحو الغد) ... كما كان للنقد النفسي نقاده في مسيرة النقد الأدبي الحديث ، إلا أنّ هؤلاء النقاد كانوا يعدون على أصابع اليد ، وقد أرجع الدكتور :يوسف وغليسي عدم تمثّل النقاد الجزائريين طروحات هذا النقد إلى قلّة رصيد نقادنا من المفاهيم السيكولوجية ،وإلى أنّ الجامعة الجزائرية (المعقل الرئيسي للممارسة النقدية) لم تعتمد مقياس (علم النفس الأدبي) إلا في وقت متأخر ، فضلا على أنّه يوكل إلى أساتذة لا صلة لهم بعلم النفس عموما إضافة إلى أنّصلةنقادنا بالنقد النفساني قد تزامنت مع غزو المناهج الألسنية الجديدة ... ومن بين النقاد الجزائريين الذين حاولوا المساهمة في التعريف بهذا النقد منالناحية التنظرية نذكر :عبد القادر فيدوح من خلال كتابه (الاتجاه النفسي في الشعر العربي الحديث) والدكتور أحمد حيدوش من خلال كتابه (الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث) ... أما الدراسات النفسية التطبيقية فنذكر دراسة محمد مقداد لديوان أطلس المعجزات للشاعر صالح خرفي ، ودراسة سليم بوفنداسة (عقدة أوديب في روايات رشيد بوجذرة) وهي مذكرة ليسانس مخطوط بجامعة قسنطينة ، وقد عدّ الدكتور : يوسف وغليسي هذه الدراسة دراسة مهمّة في مجال الدراسات النفسية ؛ إلا أنّها كما يصفها لا تكاد ترى في النص الأدبي إلا محتواه وتعجز على الاختراق السيكولوجي لفنياته الجمالية .

وآخر ممارسة نقدية في هذه المحاضرات هو النقد التكاملي ، وهو ضرب من النقد لا يتقيّد بمنهج واحد خلال العملية النقدية ، بل يستعين بجملة من المناهج التي يقتضيها الطابع التركيبي المعقّد للنص الأدبي ، ومن بين النقاد الجزائريين الذين ساهموا في التعريف بهذا الضرب من النقد تنظيرا وممارسة نذكر : عبد الله ركيبي في كتابه (تطوّر النثر الجزائري الحديث) حيث دعا إلى تبني النظرة التكاملية أثناء تحليل النص الأدبي يقول: " ونحن ندعو إلى منهج متأمّل في النقد الجزائري يستفيد من العلوم الإنسانية كلها ، لكنه يراعي النص بالدرجة الأولى لا معزولا عن صاحبه ولا عن بيئته ، ولكن معزولا عن المؤثرات الشخصية الذاتية بعيدا عن الأهواء والأحكام العامة المسبقة ، فالمهم هو إحساس الأديب في هذا النص ، وما يعكسه من شعور صاحبه ، وما يعبّر به عن تجربته ، وما يوحي به من أفكار وقيم إنسانية ، وما يدعو إليه من قضايا تفيد الإنسان وتعكس مطامحه وأشواقه ." (عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث ،ص254.) وقد تفطّن الدكتور وغليسي إلى لفظة متأمل الوارد في الاقتباس وعدّها خطأ مطبعيا ،وذلك لأنّ النص المقتبس عن الركيبي يتحدّث صراحة على المنهج التكاملي ، لذا فضل استبدال لفظة متأمل في النص الأصلي بكلمة (متكامل) .(يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي ،ص48.) كما تبنى الناقد محمد ناصر المنهج التكاملي من ناحية التنظير فضلا عن التطبيق ، وقد أعربعلى هذا التبني في كتابه (الشعر الجزائري الحديث) حيث يقول : " إن الدراسات الأكاديمية على

قلّتها كانت تركّز في الغالب الأعم على جانب المضمون وتصب اهتمامها على القضايا المعنوية ، وتعطي القيمة الكبرى عند تحليل النصوص للظروف السياسية والاجتماعية وغيرها ... ولابدّ من التنويه هنا إلى الجهود التي بذلها كل من الدكتورين : صالح حرفي وعبد الله الركيبي في مجال دراستهما لشعر الجزائري ، ودورهما في تمهيد هذا الطريق (يقصد دراسة المضامين والأفكار وجمع المادة وتقديمها للدارسين) الصعب غير أنّ تلك الدراسات ستظل في حاجة إلى دراسات أخرى تعزّزها وتتكامل معها لأنّ دراسة الشعر من جانب المضمون وحده لن يقدّم لنا التصور الكامل للعمل الشعري ، كما أنّ تناوله من زاويته الفنية وحدها لن يكون معيارا صحيحا لتقييم هذا الشعر ، ووضعه في المكانة اللائقة به ... فضرورة دراسته من جانب الشكل مكمّلة جانب المضمون فيه تكون حينئذ أكيدة ، وبتناوله من هذين الجانبين المتكاملين تتّصف النظرة إليه بالدّقة والشمول ."(محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ،ص254.) وضمن هذا التوجّه نجد أيضا الناقد محمد ناصر بوحجام ؛ وهو تلميذ الدكتور محمد ناصر يقدّم نظرته إلى هذا المنهج من خلال كتابه (أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث،1991) يقول في مقدّمة كتابه :" لم يتبع البحث منهجا محدّدا ، ألتزم فيه من البداية إلى النهاية ، إنّما حاول الاستفادة من مناهج شتى حسب الحاجة إلى ذلك أثناء الدراسة ، وإن كانت الاستفادة من المنهج النفسي والاجتماعي والوصفي كانت واضحة بغية تقديم تفسير مقنع لهذه الظاهرة (أثر القرآن في الشعر الجزائري) فجاء المنهج النفسي الذي كان الاعتمادعليه كثيرا لسبر أغوار نفوس الشعراء ، ومعرفة حقيقة مشاعرهم وجاء المنهج الاجتماعي لربط الأثر الأدبي بالواقع الاجتماعي وقضاياه ، وجاء المنهج الوصفي حين يكون الغرض بيان كثرة الاقتباسات وتنوعها ، مما يستلزم الاستقراء وتتبع الظاهرة في الشعر ولتكامل المناهج في النهاية لتقدّم لنا صورة عامة عن حقيقة الاقتباس من القرآن." (محمد ناصر بوحجام : أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، المطبعة العربية الجزائر ،ط1 ، 1992،ج1،ص8-9) ومن الواضح أنّ التكامل في النقد الجزائري الحديث قدوُجد غالب الأحيان مزاوجا بين منهجين اثنين هما : المنهج التاريخي والمنهج الفني ، ومن الدراسات التي زاوجت بين هذين المنهجين نذكر :

- كتاب الشعر الجزائري الحديث لمحمد ناصر .
- كتاب أثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري الحديث لمحمد ناصر بوحجام.
- كتاب شعر الثورة عند مفدي زكرياء دراسة فنية تحليلية للدكتور يحي الشيخ صالح .
- كتاب فنون النثر الأدبي الجزائري 1931-1954 للدكتور عبد المالك مرتاض.

أما كتاب (الشعر الجزائري الحديث) لصالح خرفي فقد كانت فيه الغلبة المطلقة للمنهج التاريخي ؛ إذ لم تتجاوز فيه الصفحات المخصّصة للدراسة الفنية إحدى وعشرين (21) صفحة ، وهذا خلل واضح ؛ إذ غلب المنهج التاريخي الذي احتلّ باقي الصفحات المقدّرة بأكثر من 500 صفحة. والشيء نفسه يقال عن

كتاب (شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة) للدكتور أبو القاسم سعد الله ؛ إذ لم يشغل الجانب الفني فيه سوى ثمان عشرة (18) صفحة من مجمل الكتاب . والأمر ذاته بالنسبة لكتاب الدكتور عمر بوقرورة (الشّعر الإسلامي المغاربي المعاصر) والذي استعان فيه بثلاثة مناهج هي : المنهج التاريخي والاجتماعي والفني ، حيث لم يوفّق الباحث في توظيف النظرة التكاملية وهو ما أشار إليه الباحث يوسف وغليسي في كتابه(النقد الجزائري المعاصر ،ص105.)

وبهذا تكتمل مسيرة النقد الجزائري الحديث بعد أن قطع فيها الناقد الجزائري أشواطا مهمّة في عملية التذوّق وممارسة العمل النقدي موظفا جملة من المناهج النقدية التي وصلته عن طريق الترجمة ، والتي وفّق إلى حدّ بعيد في التعريف بها تنظيرا وممارسة ، وهو ما كشفت عنه الدراسات النقدية الجزائرية التي حاولت استثمار تلك المقترحات في تحليل وتفسير النصوص الأدبية ؛ إلا أنّ سرعة الإنتاج النقدي في الدوائر النقدية الغربية جعلت النقاد الجزائريين في الغالب الأعميقفزون من مرحلة إلى مرحلة أخرى مواكبة لهذا التطور المتنامي والمتسارع ، وهو ما أجبر النقاد الذين اشتغلوا على المناهج السياقية (التاريخي –الاجتماعي – النفسي) على توظيف مناهج أخرى قد تختلف من حيث النظرة والتوجه ونقصد بذلك مناهج النقد الألسني ومناهج ما بعد الحداثة التي سعت إلى علمنة الدراسات الأدبية (البنيوي – السيميائي – الأسلوبي – السردي – المسرحي –التفكيكي)وقد انبرى طائفة من النقاد الجزائريين إلى التعريف بهذه المناهج تنظيرا وممارسة ضمن حركة نقدية ثانية عرفت بحركة النقد الجزائري المعاصر .

أهم المراجع المعتمدة:

1- المراجع :

- أبو القاسم سعد الله دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ط1،1958.
- أبو القاسم سعد الله شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ، الدار العربية للكتاب ليبيا ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،ط3،1984.
- عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1976 ، المنظمة العربية للتربية والثقافية العلوم ،1976.
- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ،ط1 ج10 ،2007.

- عبد الله الركيبي الشعر الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط1،1981.
- عبد الله ركيبي قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،1983.
- أحمد منور قراءات في القصة الجزائرية ، مكتبة الشعب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1981
- الطاهر يحياوي ومحمد توامي : شعراء وملامح ، الجزائر ،ط1 ،1989.
- عمر أزراج الحضور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983.
- محمد مصايف النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983.
- صالح خرفي الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984.
- عمار بن زايد: النقد الأدبي الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1990.
- يوسف وغليسي النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية ، إصدارات رابطة الابداع الثقافية ، الجزائر ،2002
- يوسف وغليسي مناهج النقد الأدبي ، دار جسور للنشر والتوزيع الجزائر ،ط3،2015.

2- **الجرائد والدوريات :** - جريدة البصائر. - جريدة الشهاب .